الإمام الباقر عليه السلام

وتأسيس جامعة أهل البيت العلمية

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

الإمام الباقر عليه السلام

وتأسيس جامعة أهل البيت العلمية

الشيخ الدكتور عبدالله أحمد اليوسف

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

سورة المجادلة، الآية: ١١.

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وخاتنم المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين، شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي، والفلك الجارية في اللجج الغامرة، يأمن من ركبها، ويغرق من تركها، المتقدم لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق، وبعد :

لقد تجلت عظمة الأنبياء والأئمة في انتهاجهم سبيل الدعوة إلى الله بإشفاقهم على أقوامهم وصبرهم على أذاهم، إلى جانب تشابه مواقف أولئك الأقوام

في إعراضهم وسوء استقبالهم لأنبيائهم. وقد بين الله عزّ وجلّ أنه سينصر أنبياءه ومن تبعهم في النهاية، مهما نزل بهم من أذى، وطاف حولهم من البلاء، ويهلك أولئك المكذبين مهما تفنّنوا في الإيذاء أو ابتكروا من ألوان الصّدّ والعناد.

إن ثبات هؤلاء العظماء وسادة الخليقة في طريق الدعوة إلى الله وصبرهم على تحمل أذى أقوامهم، لمن شأنه أن يبعث في نفوس من اتّبعهم من المؤمنين الطمأنينة والثقة بنصر الله تعالى.

ولقد صرّح القرآن بهذا الغرض. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] وأي أذى يقاس بما جرى على أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إذ كذبوا وأسيئ إليهم وحوربوا وقتلوا في حياتهم ولم ترعَ فيهم الحرمة حتى بعد مماتهم وهم من قرنت مودتهم بأجر الرسالة في القرآن الكريم، قال تعالى:

(١) سورة هود، الآية: ١٢٠.

﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[1].

ولمن أوضح وأجلى صور الظلم الذي وقع عليهم هو انتهاك حرمة قبورهم وهدم مراقدهم الطاهرة بالبقيع الغرقد؛ كما أن بعض المسلمين لايعرفون عنهم إلا النزر اليسير مع أنهم من قادة الإسلام وأئمة المسلمين.

من هذا المنطلق، وفي سعيها الحثيث لنشر ثقافة وعلوم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإحياءً لأمرهم تعمل خيمة المعارف الحسينية على إنتاج سلسلة منارات البقيع. والتي تتناول جوانب من حياة أئمتنا الأربعة الثاوين بأرض البقيع الذين وإن حرمنا من لثم ترابهم الطاهر فإننا ماعدمنا أفضالهم وبركاتهم.

وكجزء من هذه السلسلة يأتي هـذا الكتاب الذي بـين أيديكـم بعنـوان (الإمام الباقر عليه السلام وتأسيس جامعة أهل البيت العلمية) لسماحة الشيخ الدكتور عبدالله اليوسف (حفظه الله).

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

نرقب من هذا العمل القليل رضا الباري عز وجل وصلاح مجتمعاتنا ونسأله أن يتقبل هذا العمل منا و من سماحة الشيخ وأن ينفعنا و إياه به يوم لا ينفع مال و لابنون.

خيمة المعارف الحسينية

الثلاثاء ٢٢/ ١٠/ ١٤٣٦هـ

٨/ ٨/ ٢٠١٥م

المقدمة

الإمـــام محـمـد بـن عـلي الـبـاقـر عليه السلام (٥٧-١١٤هـ/ ٦٧٦-٧٣٢م) هو الإمام الخامس من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهو من أبرز أعلام العلم والفكر في الإسلام. وقد كان له دور بارز ومهم ومؤثر في نشر العلوم والمعارف الإسلامية، وفي تأسيس النهضة العلمية الكبرى في زمانه، تلك النهضة التي امتدَّ أثرُها إلى ما بعد رحيله عليه السلام؛ فقد ترك بصمات قوية في المسيرة العلمية للأمة.

وقد تفرغ الإمام محمد الباقر عليه السلام إلى بسط العلم، ونشر الفقه الإسلامي، وتأسيس جامعة أهل البيت، وتربية العلماء والفقهاء، وتدوين الحديث، وبيان المعارف الإسلامية، والتصدي للتيارات

الفكرية المنحرفة كالغلاة والمرجئة والقدرية والخوارج وغيرهم.

وقد سنحت الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية للإمام الباقر عليه السلام بممارسة أنشطته وفعالياته العلمية والثقافية والمعرفية إلى حد كبير؛ فبالرغم مما عاناه الإمام الباقر عليه السلام من حكام بني أمية وقسوتهم في التعامل مع الرأي الآخر، إلا أن ما حدث بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام من تداعيات كبيرة ، جعلت الناس تتفاعل بصورة أكبر مع منهج وخط أهل البيت، كما أن الدولة الأموية بدأت تضعف تدريجياً مما أتاح للإمام الباقر عليه السلام الفرصة لنشر العلوم الإسلامية، وتأسيس جامعة كبرى لتخريج أجيال من الفقهاء والعلماء والرواة والكُتَّاب.

ويركز هذا البحث الموجز على البعد العلمي والمعرفي للإمام محمد الباقر عليه السلام ، وعلى إبراز ما قام به من إسهامات مهمة في نشر العلوم الإسلامية من خلال تأسيسه لجامعة أهل البيت العلمية، وتخريج أجيال من الفقهاء والعلماء والرواة والمفسرين والكتّاب؛ وهو الأمر الذي ساهم بشكل فاعل في إيصال العلوم والمعارف الإسلامية إلى الحواضر

والمراكز العلمية، مما ساهم في الارتقاء المعرفي والعلمي للأمة.

وقد تضمن هذا الكتاب المحاور التالية:

* **المكانة العلمية للإمام الباقر عليه السلام.**
* **الإمام الباقر وتأسيس جامعة أهل البيت.**
* **خصائص ومميزات مدرسة أهل البيت.**
* **آثار جامعة أهل البيت.**

وختاماً... أبتهل إلى الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب في ميزان أعمالي، وأن ينفعني به في آخرتي، **﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾**[1]، إنه - تبارك وتعالى - محطُّ الرجاء، وغاية الأمل، وينبوع الرحمة والفيض والعطاء.

والله المستعان

عبدالله أحمد اليوسف
الحلة - القطيف
الثلاثاء ١٩/ ١٠/ ١٤٣٦هـ
٤/ ٨/ ٢٠١٥م

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ - ٨٩.

المكانة العلمية للإمام الباقر عليه السلام

اشتهر الإمام محمد الباقر عليه السلام في زمانه، شهرةً عظيمة، بمكانته العلمية الراقية، مما جعل العلماء والفقهاء والرواة يفدون إلى مجلسه ؛ للاستفادة من نمير علومه، ولما عُرِف عنه من تنوع معارفه ومن تضلعه في مختلف العلوم الإسلامية.

وقد أكد على هذه الحقيقة الشيخ المفيد بقوله: «ولم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام من علم الدين والآثار والسنة، وعلم القرآن والسيرة، وفنون الآداب، ما ظهر عن أبي جعفر عليه السلام. وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين، وصار

بالفضل به علماً لأهله تضرب به الأمثال، وتسير بوصفه الآثار والأشعار»[١].

ولم تقتصر شهرة الإمام الباقر عليه السلام العلمية على منطقة الحجاز التي كان يعيش فيها الإمام عليه السلام، بل امتدت شهرته على نطاق واسع في الحواضر العلمية والمهمة كالعراق وخراسان وغيرها.

وقد أجاد كمال الدين وهو يصف علم الإمام الباقر عليه السلام عندما قال: «هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه، ومتفوق دره وراضعه، ومنمق دره وواضعه»[٢].

ومما يشير إلى المكانة العلمية للإمام محمد بن علي عليه السلام أيضاً ما اشتهر به من لقب (الباقر)؛ فبالرغم من أن للإمام الباقر عليه السلام ألقاباً متعددة، إلا أنه اشتهر بلقب (الباقر)، وذلك لبقره العلوم بقراً. وقد سماه بهذا اللقب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؛ فقد ورد بطرق كثيرة عن سعيد بن المسيب، وسليمان الأعمش، وأبان بن تغلب، ومحمد بن مسلم، وزرارة بن أعين، وأبي خالد الكابلي، أن جابر بن عبد

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.
(٢) كشف الغمة، العلامة الإربلي، ج٢، ص ٢٧٤.

الله الأنصاري كان يقعد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي: يا باقر العلم يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر. وكان يقول: والله ما أهجر؛ ولكني سمعت رسول الله يقول: إنك ستدرك رجلاً من أهل بيتي اسمه اسمي، وشمائله شمائلي، يبقر العلم بقراً، فذاك الذي دعاني إلى ما أقول.

قال: فلقي يوماً كتاباً فيه الباقر عليه السلام فقال: يا غلام أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر.

فقال: شمائل رسول الله والذي نفس جابر بيده، يا غلام ما اسمك؟

قال: اسمي محمد.

قال: ابن من؟

قال: ابن علي بن الحسين.

فقال: يا بني فدتك نفسي فإذاً أنت الباقر؟

قال: نعم فأبلغني ما حملك رسول الله، فأقبل إليه يقبل رأسه وقال: بأبي أنت وأمي أبوك رسول الله يقرؤك السلام.

قال: يا جابر على رسول الله ما قامت السماوات

والأرض وعليك السلام يا جابر بما بلغت السلام.

قال: فرجع الباقر إلى أبيه وهو ذعر فأخبره بالخبر فقال له: يا بني قد فعلها جابر؟

قال: نعم.

قال: يا بني الزم بيتك. فكان جابر يأتيه طرفي النهار وأهل المدينة يلومونه، فكان الباقر يأتيه على وجه الكرامة لصحبته من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فجلس يحدثهم عن أبيه عن رسول الله، فلم يقبلوه، فحدثهم عن جابر فصدقوه، وكان جابر والله يأتيه ويتعلم منه[1].

وتسمية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله للإمام محمد بن علي عليه السلام بالباقر له دلالات مهمة؛ إذ يدل على المكانة العلمية المميزة للإمام الباقر عليه السلام وسعة علومه ومعارفه.

ومعنى الباقر ، كما ورد في كتب اللغة: التبحر والتوسع في العلم؛ ففي الصحاح: التبقر التوسع في العلم. وفي القاموس: الباقر محمد بن علي بن الحسين لتبحره في العلم. وفي لسان العرب: لقب به لأنه بقر

(١) المناقب، ابن شهر آشوب، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ج٤، ص ٢١٢-٢١٣.

العلم، وعرف أصله، واستنبط فرعه، وتوسع فيه، والتبقر التوسع[١].

وعن العلة التي من أجلها سمي أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام (الباقر)، ورد في كتب الحديث عن عمرو بن شمر قال: سألت جابر بن يزيد الجعفي فقلت له: لم سمِّيَ الباقر باقراً؟

قال: لأنه بقر العلم بقراً - أي شقه شقاً وأظهره إظهاراً -[٢].

وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى أن لقب الباقر فضيلة اختصت بأبيه[٣].

وقد أكد الباحثون على أن الإمام الباقر عليه السلام مستحق بجدارة لهذا اللقب (الباقر)؛ إذ تقول الباحثة (الرزينة ر.لالاني):

«يبرز الباقر في الكتب المتنوعة، الشيعية وغير الشيعية، كعالم جامع للفنون، ومتضلع ليس في

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ج٢، ص٤٩٣.
(٢) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١، ص ٢٢٨، رقم ١.
(٣) الاختصاص، الشيخ المفيد، ص ٦٢.

مسائل الطقوس والشعائر فحسب، بل في تفسير القرآن ومسائل تخص الفقه، إضافة إلى موضوعات دينية ذات طبيعة زمنية وروحية أيضاً. كما أنه من الأهمية بمكان ملاحظة أن العلم الشيعي قبل الباقر كان محدوداً، في حين امتاز عهده بفيض مفاجئ من المعرفة حول مسائل متنوعة. فكان، بهذا الشكل، أول إمام للشيعة تصلنا منه جملة ضخمة من أدب الحديث. أما اللقب، فيؤكد، بغض النظر عن أصوله، الدور الذي لعبه الباقر في بث العلم إلى الجمهور العام، إضافة إلى موقعه في أدب الشيعة»[1].

ولا شك أن شهرة الإمام الباقر عليه السلام العلمية ومكانته بين العلماء، والظروف السياسية التي عاصرها، ساعدت على نشره للعلوم الإسلامية المختلفة، إلا أن قول الباحثة: «من الأهمية بمكان ملاحظة أن العلم الشيعي قبل الباقر كان محدوداً» ليس دقيقاً على إطلاقه؛ فيكفي الاطلاع على ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من العلوم والمعارف الإسلامية ما ينقض قولها، إلا إذا كان المقصود أنَّ

(١) الفكر الشيعي المبكر: تعاليم الإمام محمد الباقر، الرزينة ر. لالاني، دار الساقي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص٦٥-٦٦ .

الإمام الباقر عليه السلام استطاع أن يمتد بتأثيره العلمي إلى أغلب الحواضر الإسلامية الكبرى، وبناء جامعة إسلامية كبيرة، وتخريج أعداد كبيرة من العلماء والفقهاء والرواة، وتدوين الحديث ونشره.

وقد أضحى مجلس الإمام الباقر عليه السلام قبلة للعلماء والفقهاء والرواة وغيرهم، يأخذون عنه العلوم، ويتتلمذون عليه في كل فروع المعرفة، ويتعلمون منه معالم الدين وأحكامه.

الإمام الباقر عليه السلام وتشييد جامعة أهل البيت

من الإنجازات المهمة التي قام بها الإمام محمد الباقر عليه السلام، تأسيسه لجامعة أهل البيت العلمية؛ إذ وجد الإمام الحاجة ماسة جداً لتربية كفاءات علمية متميزة في كافة الحقول المعرفية والشرعية بما يساهم في نشر العلوم والمعارف الإسلامية على أكبر مساحة ممكنة.

وكان مقر الجامعة في المدينة المنورة في داره وفي المسجد حيث يأتي إليه الطلاب من كل مكان لأخذ العلوم والمعارف الإسلامية منه. يقول السيد هاشم معروف الحسني:

«لا أحسب أحداً بريئاً من مرض الجهل

والتعصب يتهمني بالغلو أو التحيز إذا أعطيت لتلك الحلقات التي كانت تجتمع في مسجد المدينة إلى الإمام أبي جعفر الباقر بالذات، اسم (الجامعة)؛ لأنها كانت تجمع بين الحين والآخر المئات من مختلف الأقطار لدراسة الفقه والحديث والفلسفة والتفسير واللغة وغير ذلك من مختلف العلوم، وتخرج منها منذ أن أسسها الإمام الباقر حتى آخر مرحلة من نموها وتكاملها في عهد ولده الإمام الصادق آلاف العلماء في مختلف المواضيع.

وقد وصفها الأستاذ عبد العزيز بقوله: وأرسلت الكوفة والبصرة وواسط والحجاز إلى جامعة أهل البيت أفلاذ أكبادها، وتخرج منها كبار العلماء والمحدثين والرواة، وقد أدرك الحسن بن علي الوشا تسعمائة شيخ في مسجد الكوفة يتدارسون ويروون الحديث عن جعفر بن محمد وأبيه عليهما السلام»[1].

وكان مقر جامعة أهل البيت المدينة المنورة، وكان يأتي إليها فقهاء الحجاز وعلماؤه، فيأخذون عنه، ويدونون ما أخذوه. ويأتيه الناس من جميع

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ج٢، ص١٩٣.

الآفاق من العراق ومن قم وغيرهما في موسم الحج، فيقيمون مدة في المدينة ويأخذون عنه ويسألونه عما أشكل عليهم، وإذا عادوا إلى بلادهم حدثوا عنه بما سمعوه منه ودونوه، وكانوا في بحر السنة يحفظون ما أشكل عليهم، فإذا وردوا المدينة سألوه عما حفظوه من المسائل، ومن لم يحج أوصى من يحج أن يسأل له عما أشكل عليه[1].

وهذا يعني أن هذه الجامعة قد تحولت إلى مركز إشعاع علمي مهم، ومركز فكري يستقطب الباحثين عن العلم والفكر والمعرفة، وهو الأمر الذي ساهم في تعميق نتائج مهمة على صعيد نشر المعارف الإلهية، والعلوم الشرعية.

وقد ساعدت الظروف السياسية التي عاصرها الإمام محمد الباقر عليه السلام في تأسيس جامعة أهل البيت (الحوزة العلمية)؛ ففي عصر الإمام الباقر عليه السلام، بدأت النقمة العارمة ضد الحكم الأموي، وكانت الثورات والانتفاضات في أكثر من مكان، وكان الأمويون يواجهون معارضة شديدة، مما جعلهم

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م، ج١، ص١٤١.

يتعاملون مع الإمام الباقر عليه السلام بصورة أكثر اعتدالاً من ذي قبل، مما سهل للإمام تأسيس الجامعة، وتدريس الطلاب، ونشر العلوم الإسلامية.

وجاء من بعده الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي قاد المسيرة العلمية بعد أبيه، وأصبحت جامعة أهل البيت في عصره أكثر اتساعاً وضخامة بحيث استوعبت ما يزيد على أربعة آلاف طالب، وهو عدد كبير جداً بمقاييس ذلك الزمان.

خصائص ومميزات مدرسة أهل البيت

تمتاز مدرسة أهل البيت العلمية بخصائص ومميزات عديدة تميزها عن غيرها من المدارس العلمية الأخرى، أبرزها ما يلي:

أولاً- الاتصال بالرسول الأكرم ﷺ:

أئمة أهل البيت عليهم السلام ينقلون روايات النبي ﷺ بالسند المتصل إليه ﷺ، وهذا هو السند الذهبي الذي لا يوجد أصح منه سنداً ولا وثاقة.

وأئمة أهل البيت، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اعتبرهم الرسول الأعظم ﷺ سفن النجاة، وعدلاء القرآن الكريم،

كما تواترت الروايات والأخبار بما يؤكد ذلك.

وقد أشار الإمام الباقر عليه السلام إلى أن حديثهم مسند إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فعندما سُئل عن الحديث يرسله ولا يسنده، قال: «إذا حدثت الحديث فلم أسنده، فسندي فيه عن جدي عن أبيه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله عز وجل»(١).

وفي إعلام الورى بأعلام الهدى، قال عليه السلام: «إذا حدثت بالحديث فلم أسنده، فسندي فيه أبي زينُ العابدين، عن أبيه الحسين الشهيد، عن أبيه علي بن أبي طالب، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل، عن الله عز وجل»(٢). وهذه الخصيصة والميزة غير موجودة بهذا السند إلا عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ فهم ورثة علم الأنبياء. يقول جابر بن يزيد الجعفي إذا روى عن محمد بن علي نبأً: «حدثني وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء»(٣).

وكان الإمام الباقر عليه السلام يقول: «نحن أهل بيت الرحمة، وشجرة النبوة، ومعدن الحكمة، ومختلف

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ص٢٩٩.
(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى، ص٣١١.
(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، ص٢٨١.

الملائكة، ومهبط الوحي»[1].

فمن أراد أن يأخذ العلوم والمعارف الإسلامية من منبعها الصافي والنقي، فليأخذها عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام ؛ فهم الذين يروون أحاديثهم عن رسول الله بالسند المتصل إليه.

ثانياً- فتح باب الاجتهاد:

يمثل الاجتهاد في عصر الغيبة الكبرى الوسيلة الوحيدة لبيان أحكام الدين، والإجابة على تساؤلات المكلفين، وتوضيح رأي الإسلام تجاه المستجدات الحادثة. فالاجتهاد، كما يعرفه علماء الأُصول: استفراغُ الوسْع في تحصيل الحجة على الحكم الشرعي، وبعبارة أُخرى: في تحصيل الحجة عن مدرك شرعي.

وبدون ممارسة الاجتهاد لا يمكن معرفة الكثير من أحكام اللهً عز وجل؛ فالمجتهد هو وحده القادر على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها.

ويقوم المجتهدون بدورٍ ذي أهمّيّة عالية، بل بدورٍ ضروريّ، لبيان الحلال والحرام، والإجابة

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ص٢٩٩.

على الاستفتاءات المختلفة، وتوضيح رأي الشارع المقدس تجاه مختلف القضايا المطروحة. إلا أن ضرورة الاجتهاد تبدو أكثر وضوحاً عندما تلامس قضايا الواقع، ومشكلات الحاضر، ومستجدات (الحوادث الواقعة) التي تتزايد وتيرتها بصورة تصاعدية نتيجةَ التقدم الهائل في مختلف المعارف والعلوم، ونتيجةَ انفجار المعلومات بشكل مذهل؛ مما أوجد الكثير من الإشكاليات الجديدة، والمسائل المستجدة، التي تتطلب من المجتهدين أجوبة مفصلة؛ كي يسير الناس وفق هديها.

وقد تميزت مدرسة أهل البيت بجعل باب الاجتهاد مفتوحاً، فيما أغلقت المدارس الفقهية الأخرى هذا الباب، مما جعلهم يعانون من مفاعيل الإغلاق، وهو الأمر الذي جعل بعض الفقهاء من المذاهب الإسلامية الأخرى ينادون بضرورة فتح باب الاجتهاد.

يقول السيد رشيد رضا: «ولا نعرف في ترك الاجتهاد منفعة ما، وأما مضاره فكثيرة، وكلها ترجع إلى إهمال العقل، وقطع طريق العلم، والحرمان من استغلال الفكر. وقد أهمل المسلمون كل علم بترك الاجتهاد؛ فصاروا ما نرى».

ويقول الكاتب المصري أحمد أمين: «وقد أصيب المسلمون بحكمهم على أنفسهم بالعجز وقولهم بإقفال باب الاجتهاد؛ لأن معناه لم يبق في الناس من تتوفر فيه شروط المجتهد، ولا يرجى أن يكون ذلك في المستقبل. وإنما قال هذا القول بعض المقلدين؛ لضعف ثقتهم بأنفسهم، وسوء ظنهم بالناس»[1].

ويقول في كتابه (ظهر الإسلام) ما نصه: «إن المقلدين حجروا على الفكر والفتيا، وقالوا: لم يبق في الأرض عالم منذ العصور المتقدمة، وليس لأحد أن يختار بعد أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر ومحمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة، ولا مالك والشافعي وأصحابهم. وقالوا: لا يحل لأحد بعد هؤلاء الأئمة، أن يستنبط الأحكام من كتاب الله ولا من سنة رسوله، وأحالوا أن يوجد مجتهد يستطيع استنباط الأحكام من الكتاب والسنة.

لم يدع من مضى للذي قد غبر
فضل علم سوى أخذه بالأثر

(١) موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام محمد الباقر عليه السلام، باقر شريف القرشي، دار المعروف، قم، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ج١٧، ص٢٢٩- ٢٣٠.

وقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[1]. مع أن الأحاديث جمعت، وتحصيل العلوم، وأقوال من تقدم عرضت، فأصبح الاجتهاد اليوم أيسر مما كان، ولكنها النفوس صغرت، والهمم اضمحلَّت»[2].

ولاشك في أن فتح باب الاجتهاد، بعد وضوح آلياته وضوابطه العلمية، مهم جداً؛ لمواكبة التطورات الفكرية،وللإجابة على التساؤلات الفقهية الجديدة، وهو الأمر الذي جعل مدرسة أهل البيت تتفوق على غيرها في مواكبة متغيرات كل عصر.

ويشمل الاجتهاد جميع ما يرتبط بفقه الأفراد، وفقه الحياة، وفقه الاقتصاد، وفقه السياسة، وغيرها من الأبواب الرئيسة بما يجعل الفقه، كما الفكر، قادراً على مواكبة المتغيرات الزمانية والمكانية.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.
(٢) ظهر الإسلام، أحمد أمين، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م، ج٤، ص ٣٨٣.

ثالثاً- المرونة والانفتاح:

تشهد حياتنا المعاصرة قفزات نوعية في مختلف العلوم والمعارف؛ مما أوجد العديد من المتغيرات في حياتنا، وطريقة تفكيرنا، ونوعية سلوكياتنا. كما أن ثقافتنا العامة قد دخل عليها العديد من التغيرات والتبدلات؛ نتيجة للتطور الثقافي والعلمي، وارتفاع مستوى الوعي المجتمعي؛ مما وَلَّـدَ الكثير من الإشكاليات الجديدة، والتساؤلات الشائكة، التي تحتاج إلى أجوبة واضحة من قبل المراجع والفقهاء وأهل العلم والرأي.

ولكي يواكب فكرنا وثقافتنا وفقهنا متغيرات العصر وتطوراته، ويُجيب على أسئلة العصر وقضاياه؛ لابد من التجديد في ثقافتنا وفكرنا، والاجتهاد في القضايا المعاصرة، وهو الأمر الذي ساعد عليه فتح باب الاجتهاد في مدرسة أهل البيت.

يقول المحقق الشيخ باقر شريف القرشي (رحمه الله):

«وفقه أهل البيت عليهم السلام يساير الحياة، ويواكب

التطور، ولا يشذ عن الفطرة، ويتماشى مع جميع متطلبات الحياة، فليس فيه - والحمد لله - حرج ولا ضيق، ولا ضرر ولا ضرار، وإنما فيه الصالح العام، والتوازن في جميع مناحي تشريعاته، وقد نال إعجاب جميع رجال القانون، واعترفوا بأنه من أثرى ما قنن في عالم التشريع عمقاً وأصالة وإبداعاً»[1].

والمرونة والانفتاح التي تتميز بها مدرسة أهل البيت، سواء في الفقه أم في غيره من الحقول المعرفية والفكرية والعلمية، لا تعني الاعتماد على الاستحسان الذوقي، أو الأخذ بالقياس، أو اتباع الرأي؛ وإنما المقصود بذلك أن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد وضعوا القواعد الرئيسة التي بالارتكاز عليها يستطيع المجتهد المطلق أن يستنبط الأحكام الشرعية، ويجيب على جميع أسئلة العصر وإشكالياته.

رابعاً- دور العقل في التشريع:

من أعظم ما خلقه الله سبحانه وتعالى في الإنسان العقل؛ فبه يستطيع الإنسان أن يميز بين الأمور،

(١) موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام محمد الباقر عليه السلام، باقر شريف القرشي، دار المعروف، قم، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ج١٧، ص٢٢٩.

ويعرف الخير من الشر، والحق من الباطل، والحسن من القبيح؛ لهذا اعتُبر - أي العقل - حجة باطنية على الإنسان. فعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «إن لله على الناس حُجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة. فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول»[١]. وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «إن الله عز وجل أكمل للناس الحجج بالعقول»[٢]. فبالعقل يُستدل على الأشياء، ولا يُستدل بالأشياء عليه، إذ لا سبيل لمعرفة العقل إلا بالعقل نفسه.

وللعقل مكانة عظيمة في الفكر الإسلامي؛ فقد نص القرآن الحكيم على فضله وشرفه في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[٣]، ويقول تعالى: ﴿هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ﴾[٤].

ونصّت السنة كذلك على فضل العقل وعظمته

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٥، ص ٢٠٧، رقم٦.
(٢) أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص ١٣٠، رقم١٢.
(٣) سورة البقرة، آية ٢٦٩.
(٤) سورة غافر، آية ٥٤.

في روايات متواترة، ومنها - على سبيل المثال - ما ورد عن الإمام علي عليه السلام من قوله: «العقل أقوى أساس»[١]، وقوله عليه السلام: «العقل رسول الحق»[٢]، وقوله عليه السلام: «لا غنى أكبر من العقل»[٣]، وقوله عليه السلام: «لا مال أعود من العقل»[٤]، إلى ما هنالك من آيات وروايات تشير إلى مكانة وعظمة العقل، ودوره المهم في الإحساس والإدراك والتفكير والاختيار والتوجيه والإرشاد.

وقد اعتبر علماء الأصول أن المصدر الرابع من مصادر التشريع الإسلامي هو العقل، والمراد من الدليل العقلي المقابل للكتاب والسنة - كما يرى الشيخ المظفر - هو: كل حكم للعقل يوجب القطع بالحكم الشرعي، وبعبارة ثانية هو: كل قضية عقلية يتوصل به إلى العلم القطعي بالحكم الشرعي[٥]. فالمقصود بحكم العقل إذن هو إدراك العقل للأحكام الشرعية من غير طريق النقل.

(١) ميزان الحكمة، ج٥، ص ٢٠٣٣.
(٢) ميزان الحكمة، ج٥، ص ٢٠٣٣.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٧٥، ص ١١١.
(٤) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١، ص ١٠٣، رقم ١٤.
(٥) أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر، منشورات مكتبة الزواد بالقطيف، ج٢، ص١٢٥.

وحجّية العقل - في واقعها - من الأمور البَدَهِيَّة التي لا تفتقر إلى برهان؛ لأن العقل هو الدليل الأساس للعقيدة الإسلامية، التي منها ينبثق التشريع الإسلامي. فمن اعتباره دليلاً أساسياً للعقيدة نستطيع أن ندرك، بسهولة وبداهة، حجية اعتباره دليلاً للتشريع؛ وذلك لأن العقيدة أهم من التشريع لأنها أصل الدين.

ومما فهمناه من أن دليل العقل هو الذي ينهي إلى القطع بحكم الشرع، نستطيع أن ندرك حجيته أيضاً؛ وذلك لأن القطع حجّة بالبداهة[1].

وقد اعتبر العلامة الشيخ (محمد جواد مغنية) العقل من أبرز مظاهر الاجتهاد؛ ولهذا سمّي بالدليل الاجتهادي. ويقول: لقد وجد علماء الشيعة فيه ميداناً فسيحاً لاجتهادهم؛ فأحدث المتأخرون قواعد فقهية جديدة، وعدّلوا كثيراً من القواعد القديمة، وقلّموا وطعّموا جميع أبواب الفقه من العبادات والمعاملات.

إن الاجتهاد يكون مع وجود الأدلة الأربعة،

(١) مبادئ أصول الفقه، د. عبد الهادي الفضلي، ط الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص٨٠.

فمع نصوص القرآن يكون في الفهم والاستنباط، ومع السنّة يكون في سند الحديث، وفهم ألفاظه، ويكون في الإجماع، في إمكان تحققه، أما الدليل الرابع فكما قدمنا من أبرز مظاهر الاجتهاد، حيث لا نص ولا إجماع.

وقد أخذت مذاهب السنّة بالاستصحاب والبراءة والاحتياط والتخيير في كثير من الموارد، كما أخذت الشيعة بالاستصلاح والعلة المنصوصة ومفهوم الموافقة، ولكن أركان الدليل الرابع وأقسامه الرئيسية عند أولئك هي القياس والاستحسان والاستصلاح، وعند هؤلاء الاستصحاب والاحتياط والتخيير[1].

مما تقدم، يتأكد لنا دور العقل في منظومة الاجتهاد في إطار التشريع الإسلامي.

وإذا كان العقل يُعتَبَرُ الدليل الرابع من أدلة التشريع الإسلامي، كما يؤكد ذلك علماء الأصول، وأن للعقل دوراً لا يمكن إنكاره في بناء (الحقل

(١) مع الشيعة الإمامية، الشيخ محمد جواد مغنية، ط الثالثة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دار التيار الجديد - بيروت، ص٥٣١.

التشريعي)، فمن الأولى جواز استعمال العقل في القضايا العامة مما يرتبط بمصالح الناس.

وقد تميزت مدرسة أهل البيت باعتبار العقل أحد الأدلة الأربعة في استنباط الأحكام الشرعية، وقد استنبط الفقهاء الكثير من الأحكام الشرعية ارتكازاً على حكم العقل، فقد يحكموا بوجوب مقدمة الواجب، وأن الأمر بالشيء يقتضي النهي عن ضده، وحجية الظن المطلق بناء على الحكومة لا على الكشف، وغير ذلك من القواعد الأصولية التي ساهمت في حيوية الفقه الإسلامي وتطوره.

آثار جامعة أهل البيت

حققت جامعة أهل البيت العلمية التي أسسها الإمام الباقر عليه السلام الكثير من النتائج والآثار والثمار الإيجابية على الصعيد العلمي والمعرفي، من أبرزها ما يلي:

أولاً - نشر العلوم والمعارف الإسلامية:

من أبرز الآثار العلمية التي حققتها جامعة أهل البيت، نشر العلوم والمعارف الإسلامية؛ فقد كانت الجامعةُ المنبعَ الأصيل للعلوم الشرعية والمعارف الدينية، وكان الإمام محمد الباقر عليه السلام المرجع الوحيد في عصره للعلماء والفقهاء والرواة من مختلف البلاد الإسلامية، وكان يستفيد من علومه العلماءُ من جميع المذاهب الإسلامية.

وكان علماء الصحابة يستفتونه ويرجعون إليه. أخرج أبو نعيم في الحلية أن رجلاً سأل ابن عمر عن مسألة، فلم يدر ما يجيبه؛ فقال: «اذهب إلى ذلك الغلام»، وأشار إلى الباقر، «فسله، وأعلمني بما يجيبك». فسأله، وأجابه. فأخبر ابن عمر، فقال: «إنهم أهل بيت مفهمون».

وأخرج أبو نعيم في الحلية أيضاً عن مالك بن عطاء المكي: «ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة مع جلالته في القوم، وكان عالماً نبيلاً جليلاً في زمانه، بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه» . وفي رواية: «كأنه عصفور مغلوب». وقد قال عنه أبو زرعة الرازي من أعاظم علماء السنة: «لعمري إن أبا جعفر لمن أكبر العلماء، وإنهم أهل الذكر».

وقال محمد بن مسلم الثقفي الطائفي: «سألته عن ثلاثين ألف حديث»، حكاه ابن شهرآشوب في المناقب. وقال جابر الجعفي: «حدثني أبو جعفر سبعين ألف حديث»، رواه المفيد في الاختصاص

بسنده عن جابر. وقد رجع إلى قوله ابن أبي ليلى القاضي لما اختصم إليه في الجارية التي ليس على ركبها شعر بأن ذلك عيب لأن العيب كلما زاد في الخلقة أو نقص.

وهو الذي أشار على عبد الملك بن مروان بضرب الدراهم والدنانير في الإسلام لما أحرجه ملك الروم في خبر رواه البيهقي في المحاسن والمساوي، وحاصله: إن القراطيس كانت للروم، وكانت تعمل بمصر وتطرز بالرومية أبا وابناً وروحاً قديساً. فلما كان زمن عبد الملك، رأى الطراز فأنكره؛ فأمر أن تطرز بسورة التوحيد والشهادة بالوحدانية. فبلغ ذلك ملك الروم؛ فغضب وبعث إلى عبد الملك: لتأمرن برد الطراز إلى ما كان، أو لآمرنَّ بنقش الدراهم والدنانير بشتم نبيك.

وكانت لا تنقش إلا ببلاد الروم؛ فعظم ذلك على عبد الملك، واستشار الناس. فلم يكن عندهم مخرج؛ فقال له روح بن زنباع: إنك لتعلم الرأي والمخرج. قال: من؟ قال: الباقر من أهل بيت النبي ﷺ. فاستحضره، فقال: «لا يعظمنَّ هذا عليك»، وأشار

عليه بضرب الدراهم والدنانير، وبين له كيفيته، فعمل به، ودفع الله عن الإسلام والمسلمين بذلك شرًّا عظيماً[١].

وهذا يدل على أن الإمام الباقر عليه السلام كان مقصد كبار العلماء والفقهاء، وكان الإمام يستثمر كل سؤال لنشر العلوم والمعارف الإسلامية، بل ويحثُّ على بذل العلم وإشاعته بين الناس حتى لا يبقى جاهل في المجتمع، وحتى ينتشرَ العلم والوعي الديني بين الجميع. يقول عليه السلام: «إن الذي تعلم العلم منكم له مثل أجر الذي يعلمه، وله الفضل عليه. تعلموا العلم من حملة العلم، وعلموه إخوانكم كما علمكم العلماء»[٢]. وقوله عليه السلام: «زكاة العلم أن تعلمه عباد الله»[٣].

وكان الإمام الباقر عليه السلام يحثُّ أصحابَهُ وتلامذته على التعلم والسؤال من أهل العلم، إذ يقول عليه السلام: «العلم خزائن، والمفاتيح السؤال؛ فاسألوا يرحمكم

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ج١، ص ١٤١.
(٢) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج١، ص ١٧٤، رقم ٣٦.
(٣) أصول الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص ٩١، رقم٣.

الله، فإنه يؤجر في العلم أربعة: السائل، والمتكلم، والمستمع، والمحب لهم»[١].

وكان الإمام الباقر عليه السلام يحرض طلابه على التفقه في الدين، وتعلم مسائل الحلال والحرام؛ لأنه بذلك يصل إلى الكمال، إذ يقول عليه السلام: «الكمال كل الكمال، التفقه في الدين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة»[٢] لأن التفقه في الدين، واستيعاب المفاهيم الدينية، ومعرفة الحلال من الحرام، يحفظ توازن الإنسان المؤمن، ويساعده على السلوك السويِّ، والسير في طريق الهدى والحق والخير.

فالإمام الباقر عليه السلام استطاع من خلال جامعته الكبرى أن ينشر العلوم والمعارف الإسلامية من خلال تدريسه في تلك الجامعة، والإشراف عليها، ونشر العلم بين الناس، وحث طلابه وتلامذته على بذل العلم وإشاعته، وأيضاً من خلال الالتقاء

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٢٤٤ - ٢٤٥، رقم ١٠١.
(٢) أصول الكافي، الشيخ الكليني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ج ١، ص ٨٠، رقم ٤.

بكبار العلماء، والإجابة على تساؤلاتهم العلمية، وإشكالياتهم المعرفية، هو الأمر الذي ساهم كثيراً في نشر العلم، وزيادة مساحة الوعي بمفاهيم الدين وأحكامه.

ثانياً- إعداد الفقهاء والعلماء:

قامت جامعة أهل البيت بإعداد وتأهيل وتربية جيل من الفقهاء والعلماء والرواة والمفسرين والكُتَّاب، وقد تخرج من هذه الجامعة علماء كبار في مجالات علمية متنوعة كالفقه والتفسير والحديث والكلام، وكان لكل واحد منهم ثقله العلمي والمعرفي.

وكان من أبرز تلامذة الإمام الباقر عليه السلام الذين تخرجوا من جامعته وحملوا آثارها إلى مختلف الأقاليم الإسلامية، أبان بن تغلب بن رياح بن سعيد البكري الذي عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة وأخذ عنهم. ويبدو ممن كتبوا في أحوال الرواة أن صلته بالإمام الباقر كانت أطول من صلاته بالسجاد والصادق عليهما السلام، وأنَّه قد أخذ عنه أكثر مما أخذ عنهما.

وروى النجاشي عن إبراهيم بن يزيد النخعي

أن أبان بن تغلب كان مقدماً في كل فن من العلوم، وعدَّ منها الفقه والحديث والأدب واللغة والنحو، وأضاف إلى ذلك أنه ألف كتباً كثيرة، منها: كتاب في تفسير غريب القرآن. وقال له الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: اجلس في مسجد المدينة، وأفْتِ الناس؛ فإني أحب أن يُرَى في شيعتي مثلك.

ونصّ المؤلفون في علمي الدراية والرجال أنه روى عن الإمامين الباقر والصادق أكثر من ثلاثين ألف حديث في مختلف المواضيع وأكثرها في الفقه، وقال لمن عاتبه في روايته عن الإمام الباقر: كيف تلومني في روايتي عن رجل ما سألته عن شيء إلا قال: قال رسول الله؟!

وقال الإمام الصادق لسليم بن أبي حية: ائتِ أبان بن تغلب؛ فإنه قد سمع مني حديثاً كثيراً. فما روى لك فاروه عني.

وقد وثَّقه علماء السنة ومحدثوهم مع اعترافهم بتشيعه، ووصفه الذهبي في ميزان الاعتدال بالصلابة في تشيعه وصدق الحديث، وقال: لنا صدقه وعليه بدعته. ويعني الذهبي بالبدعة تفضيله لعلي عليه السلام على كبار الصحابة، وموالاته له.

وقد عد له ابن النديم في الفهرست ثلاثة كتب: كتاب في القراءات، وكتاب في معاني القرآن، وكتاب في أصول الحديث على مذهب الشيعة[١].

ومن العلماء الأفذاذ الذين تخرَّجوا من جامعة الإمام الباقر عليه السلام، وتتلمذوا على يديه: زرارة بن أعين الذي كان يُرجَع إليه في الفقه والحديث. وكان الإمام الصادق عليه السلام يجلُّه ويحترمه. يقول عليه السلام عنه: «رحم الله زرارة بن أعين، لولا زرارة بن أعين، لولا زرارة ونظراؤه، لاندرست أحاديث أبي عليه السلام»[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً فيه وفي جماعة من تلامذة الإمام الباقر عليه السلام ما نصه: «ما أحد أحيى ذكرنا وأحاديث أبي إلا زرارة وأبو بصير المرادي ومحمد بن مسلم وبُرَيد بن معاوية، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا. هؤلاء حفاظ الدين، وأمناء أبي على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ج٢، ص ١٩٦ - ١٩٧.
(٢) اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي، طهران - إيران، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ.ش، ص ٢١٩، رقم ٢١٧.

الدنيا والآخرة»[1].

وقد صنَّف زرارة كتابين: أحدهما في الجبر والتفويض، والثاني: في الاستطاعة. وهو أحد الستة من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام الذين أجمع الرواة على صحة رواياتهم.

ومن تلامذة الإمام الباقر عليه السلام البارزين: محمد بن علي بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق، وكان قوي الحجة والدليل، ومجادلاً متمرساً على الجدال، لم يجادله أحد إلا قطعه، وانهزم أمام قوته العلمية، وأدلته المنطقية.

ومن تلامذة الإمام الباقر عليه السلام المعروفين: جابر بن يزيد الجعفي الذي روى عن الإمام الباقر عليه السلام ما يزيد عن خمسين ألف حديث في مختلف المواضيع، وقيل: روى سبعين ألف حديث.

ويعد جابر من أكثر تلامذة الإمام عليه السلام رواية عنه؛ فقلما تجد باباً من أبواب الفقه وغيره من العلوم الإسلامية إلا وتجد له رواية أو أكثر فيه.

(١) اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي، طهران - إيران، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ.ش، ص ٢١٩، رقم ٢١٩.

يقول الإمام الصادق عليه السلام عن جابر الجعفي: «رحم الله جابر الجعفي، كان يصدق علينا»[١].

ويطول الحديث عن تلامذة وطلاب الإمام الباقر عليه السلام الذين تتلمذوا على يديه، وتخرجوا من جامعته، ونشروا علومه ومعارفه، ومنهم: بُرَيدُ بن معاوية العجلي، والفضل بن يسار، وأبو بصير الأسدي، وأبان بن عثمان الأحمر، وحريز بن عبدالله، وعبدالله بن جندب، وصفوان الجمال، وعلي بن النعمان، وغيرهم.

وثمة ملاحظة هامة، وهي: إن جامعة أهل البيت لم تقتصر على أتباع مدرسة أهل البيت، بل كان المجال مفتوحاً للدراسة فيها للطلاب من مختلف المذاهب الإسلامية؛ ولذلك التحق بها عدد كبير من طلاب العلم من مختلف الأقاليم والبلاد الإسلامية، وأخذ العلم عن الإمام الباقر عليه السلام كبارُ علماء المسلمين على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم الفكرية والمذهبية، منهم: عطاء بن أبي رياح، وعمرو بن دينار، وربيعة الرأي، وابن جريح، والزهري، والأوزاعي، وبسام الصيرفي، وأبو حنيفة، وغيرهم كثير.

---

(١) اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي، طهران، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ.ش، ص ٢٦٤ - ٢٦٥، رقم ٣٣٦.

ثالثاً - نشر مذهب أهل البيت:

ساهمت جامعة أهل البيت التي أسسها الإمام محمد الباقر عليه السلام في نشر مذهب أهل البيت بين الناس، بعدما كان محارَباً بشدة من قبل السلطة الأموية، رغم أنَّ جامعة أهل البيت تأسست في وقت كانت الدولة الأموية تحيط بها الأخطار من جميع جهاتها. وقد اتسعت الجامعة لأكثر من أربعة آلاف طالب، ولكن ذلك قد كان بعد أن مضى على المسلمين أكثر من قرن من الزمن لا عهد لهم فيه بفقه يختص بأهل البيت، ولا بحديث يتجاهر الرواة في نسبته إليهم، سوى ما كان يروى عنهم أحياناً بطريقة الكتابة في الغالب؛ لأن الأمويين كانوا جادِّين في القضاء على كل آثارهم، وفي التنكيل بكل من يُتَّهَمُ بولائهم.

ولو أتيح للأئمة عليهم السلام بعد الإمام علي عليه السلام أن ينصرفوا إلى الناحية التي اتجه لها الإمامان الباقر والصادق، لكان فقه أهل البيت هو الفقه السائد والمعمول به عند عامة المسلمين؛ لأنه من فقه أمير المؤمنين عليه السلام، وأمير المؤمنين كان صاحب الرأي الأول والأخير في الفقه والقضاء بلا منازع، وقد

ترك منه في المدينة والكوفة ما يكفي لحل جميع ما يعترض المسلمين من المشاكل حيث كانوا.

ولكنَّ خصومَهُ عملوا على طمس آثاره، وخلقوا له الأنداد والأضداد بوسائلهم المعروفة، كما وقفوا لأبنائه من بعده، ولشيعتهم، بالمرصاد، وكانوا يحاسبون ويعاقبون كل من ينسب إليهم رأياً أو يروي عنهم حديثاً، في حين أنهم أباحوا لكل متعلم أو عالم أن يقول ويروي ما يشاء ويفتي بما يريد في العواصم الإسلامية الكبرى وغيرها.

فسالم بن عبد الله بن عمر، وعروة بن الزبير، والزهري، ومحمد بن شهاب، ويحيى بن سعيد، وعطاء، وغيرهم من الموالي والأحرار، كانوا أئمة الإفتاء في مكة والمدينة، وإبراهيم النخعي، والشعبي، كانا - بالإضافة إلى غيرهما - في الكوفة، بالرغم من أن النخعي قد أخذ الفقه ممن أخذه عن علي عليه السلام، ولكنه كان ينسب رأي علي عليه السلام أحياناً لنفسه؛ فعدوه لهذه الغاية ممن يجنحون إلى العمل بالرأي، كما كان فقيه البصرة الحسن البصري، وفقيه اليمن طاووس.

وهكذا فرضوا لكل بلد عالماً أو أكثر؛ ليرجع إليه

الناس في الحلال والحرام. أما فقهاء الشيعة الذين عاصروا هذه الطبقة تقريباً، كسعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد، وأمثالهما، فمع أنهم كانوا من البارزين بين علماء ذلك العصر في الفقه وغيره، إلا أنه لم يكن لفقههم صبغة التشيع الصريح. وقد شاع عن سعيد بن المسيب أنه كان يجيب أحياناً برأي غيره من علماء عصره، أو برأي من سبقه من الصحابة والتابعين؛ مخافة أن يصيبه ما أصاب سعيد بن جبير ويحيى بن أم الطويل وغيرهما ممن تعرضوا للقتل والتشريد، لا لشيء سوى تشيّعهم لعلي وبنيه عليهم السلام.

ومجمل القول، لقد شاء الله لجامعة أهل البيت أن تعيش آمنة مطمئنة، ولو لفترة من الزمن. تلك الفترة ليست شيئاً بالنسبة لما تركته من الآثار في شرق البلاد وغربها في ثلث قرن من الزمن تقريباً لا أكثر[1].

وقد استطاع الإمام محمد الباقر عليه السلام أن ينشر فقه أهل البيت وعلومهم ومنهجهم ومذهبهم بين الناس من خلال تلامذته وطلابه الذين تخرجوا من جامعته، وكان لدورهم وجهودهم العلمية أكبر

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ج٢، ص ١٩٤ - ١٩٦.

الأثر في بثّ علوم ومعارف أهل البيت بين الخاصة والعامة، والعلماء وغيرهم، والكبار والصغار، مما ساهم كثيراً في انتشار مذهب أهل البيت في المدينة المنورة وغيرها من المدن الإسلامية الكبرى.

ثبت المصادر والمراجع

١- خير ما نبتدىء به: **القرآن الكريم**.

٢- **أمين، أحمد** (ت ١٩٥٤ م)، **ظهر الإسلام**، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣- **الأمين، السيد محسن** (ت ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢م)، **أعيان الشيعة**، حققه وأخرجه وعلق عليه: السيد حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٤- **الإربلي**، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣ هـ)، **كشف الغمة في معرفة**

الأئمة، دار المرتضى، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٥- **ابن شهر آشوب**، أبو جعفر محمد بن علي السروي المازندراني(ت ٥٨٨ هـ)، **مناقب آل أبي طالب**، تحقيق وفهرسة: د. يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

٦- **الحر العاملي**، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ)، **تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م.

٧- **الحسني**، هاشم معروف، **سيرة الأئمة الاثني عشر**، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة السابعة ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٨- **الري شهري**، محمد، **ميزان الحكمة**، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٩- **الصدوق**، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (المتوفي سنة ٣٨١ هـ)، **الخصال**، مؤسسة الأعلى للمطبوعات،

بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٠- **الصدوق**، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، **علل الشرائع**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١١- **الطوسي**، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)، **اختيار معرفة الرجال: رجال الكشي**، تحقيق وتصحيح: محمد تقي فاضل الميبدي والسيد أبو الفضل الموسويان، طهران ـ إيران، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ. ش.

١٢- **الفضلي**، عبد الهادي، **مبادئ أصول الفقه**، دار الغدير، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٣- **القرشي**، باقر شريف، **موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام محمد الباقر** عليه السلام، دار المعروف، قم- إيران، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٤- **الكليني**، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)، **أصول الكافي**، ضبطه وصححه وعلَّق عليه: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار

التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، طبع عام ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٥- **لالاني**، الرزينة.ر.، **الفكر الشيعي المبكر: تعاليم الإمام محمد الباقر عليه السلام**، دار الساقي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

١٦- **المظفر**، محمد رضا، **أصول الفقه**، منشورات مكتبة الزواد، القطيف -السعودية، غير مذكور تاريخ الطبع ولا عدد الطبعة.

١٧- **مغنية**، محمد جواد، **مع الشيعة الإمامية**، دار التيار الجديد - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٨- **المفيد**، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)، **الإرشاد**، المطبعة الحيدرية، النجف ـ العراق، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

١٩- **المفيد**، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)، **الاختصاص**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

المحتويات

كلمة الناشر ٧
المقدمة ١١
المكانة العلمية للإمام الباقر عليه السلام ١٥
الإمام الباقر عليه السلام وتشييد جامعة أهل البيت ٢٣
خصائص ومميزات مدرسة أهل البيت ٢٧
أولاً- الاتصال بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ٢٧
ثانياً- فتح باب الاجتهاد ٢٩
ثالثاً- المرونة والانفتاح ٣٢
رابعاً- دور العقل في التشريع ٣٤
آثار جامعة أهل البيت ٤١
أولاً - نشر العلوم والمعارف الإسلامية ٤١
ثانياً- إعداد الفقهاء والعلماء ٤٦
ثالثاً - نشر مذهب أهل البيت ٥٠
ثبت المصادر والمراجع ٥٥

للتواصل مع المؤلف

الموقع على الإنترنت: www.alyousif.org	
البريد الإلكتروني: alyousif@alyousif.org alyousif50@gmail.com	
انستغرام: http://instagram.com/ dabdullahalyousif	
صفحة الفيس بوك: http://www.facebook.com/alyousif.org	facebook
صفحة التويتر: https://twitter.com/#!/alyousiforg	
قناة اليوتيوب: http://www.youtube.com/alyousiforg	YouTube